الدماغ الخفي داخل القلب

اكتشاف علمي مذهل عن سر من أسرار القرآن

انيس الرحمن الندوي، الأمين العام، الأكاديمية الفرقانية الوقفية، بنجلور (الهند)
ورئيس تحرير، مجلة تعمير فكر
الجوال: 9845965548 91+ - البريد الإلكتروني: anees_nadvi2003@yahoo.com

---

كنا نسمع دائما حتى الآن أن جميع أفعال الإنسان تنبع من الدماغ، حيث تُظهر الحقائق العلمية أن الدماغ هو مركز التفكير والسلوك. لطالما زعم العلماء أن القلب لا يلعب أي دور في اتخاذ القرار، وأن جميع الأفعال هي نتيجة لنشاط الدماغ وحده. كما أيد الأطباء هذا الرأي بقولهم إن نظام التحكم في الجسد يوجد في الدماغ، وليس في القلب.

وقد اعتبرت العلوم الحديثة، تماشيًا مع هذا الرأي، أن القلب مجرد مضخة للدم. وقد قيل إنه حتى إذا تم إزالة قلب الإنسان، فإن قلبًا صناعيًا يمكنه أن يحافظ على عمل الجسد. أما الدماغ، فلا يمكن إزالته أو استبداله. ولهذا السبب، لم يتم حتى الآن استبدال دماغ إنسان، ولم يتلقَّ أي شخص دماغًا صناعيًا. وعلى العكس من ذلك، فقد تم إجراء عمليات زرع قلب ناجحة، وأصبحت هذه الممارسة منتشرة الآن.

ومع ذلك، فإن القرآن الكريم والحديث الشريف يصفان القلب البشري بأنه مركز أفعال الإنسان. حيث تؤكد آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم مرارًا وتكرارًا أن جميع أفعال الإنسان تخضع لسيطرة القلب. وبالمثل، يُصوَّر القلب كمركز للخير والشر. لذلك، فإن إصلاح جميع أفعال الإنسان يعتمد على إصلاح القلب، وفساد الأفعال مرتبط بفساد القلب. وفيما يلي بعض الآيات القرآنية ذات الصلة:

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ (الحج: ٤٦)

﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ (الأعراف: ١٧٩)

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد: ٢٤)

في هذه الآيات، تم تعيين القلب كمركز للعقل والفهم، والتفكر واالتأمل. وبالمثل، في بعض الآيات الأخرى، يتم وصف فشل الكافرين في فهم آيات الله وعجزهم عن تلقي الهداية كنتيجة للأقفال الموضوعة على قلوبهم.

﴿كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ (يونس: ٧٤)

وبالمثل، في حديث شريف، بيَّن النبي محمد صلى الله عليه وسلم أن القلب هو مصدر صلاح وفساد جميع أفعال الإنسان. والحديث كما يلي:

"ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب." (صحيح البخارى، حديث: ٥٢؛ صحيح المسلم، حديث: ١٠٧)

وخلاصة القول، فإن الإسلام لا يعتبر القلب مجرد عضو جسدي يؤدي وظيفة مادية، بل يراه مركزًا للفهم والإدراك والإيمان. ويُعرض بوضوح على أنه المسؤول عن أفعال الإنسان، وتفكره، وتأمله. وحتى وقت قريب، كانت هذه النصوص الإسلامية تُعدّ في نظر كثيرين من الأوساط العلمية متعارضة مع الفهم العلمي الحديث. وكان المثقفون، وخاصة المستشرقين، كثيرًا ما يستشهدون بمثل هذه النصوص باعتبارها نماذج لما كانوا يرونه "أخطاءً علمية" في القرآن والحديث. غير أن اكتشافًا علميًا حديثًا قد أدهش الجميع، حيث جاء مؤكدًا ومصدقًا للحقائق التي وردت في هذه التعاليم الإسلامية. لقد كشفت هذه الأبحاث أن "التفكير بالقلب" ليس مجرد تعبير مجازي، بل يحمل معنى عميقًا — معنى بدأت العلوم الحديثة اليوم في الاعتراف به. وقد نُشرت هذه الدراسة الرائدة في المجلة العلمية المرموقة Nature Communications. وفيما يلي تفاصيل هذا البحث.

باستخدام أحدث الأساليب العلمية، كشف الخبراء عن وجود "دماغ خفي" داخل القلب. فقد اكتشف فريق من الباحثين من جامعة كولومبيا ومعهد كارولينسكا شبكة معقدة من الخلايا العصبية (الألياف العصبية) داخل القلب، تعمل بطريقة مشابهة لعمل الدماغ. وقد أوضح العلماء أن القلب يحتوي على نظام عصبي متطور يعمل بطريقة تشبه إلى حد كبير الدماغ. واستنادًا إلى هذا، بدأ العلماء اليوم يقولون إن القلب لا يقتصر دوره على ضخ الدم فحسب، بل يلعب أيضًا دورًا مهمًا في التحكم بوظائف الجسم وإصدار الأوامر كالدماغ.

ووفقًا لهذا البحث، يحتوي القلب على حوالي ٤٠,٠٠٠ خلية عصبية، يُطلق عليها اسم "دماغ القلب" أو "الجهاز العصبي الذاتي للقلب". وهنا يبرز السؤال: ما هي وظيفة هذه الخلايا العصبية؟ الإجابة هي أن هذه الخلايا قادرة على استشعار المعلومات، ومعالجتها، والتواصل مع الدماغ من خلال علاقة ثنائية الاتجاه. وقد كشفت الدراسة أيضًا أن عدد

الإشارات التي يرسلها القلب إلى الدماغ يفوق عدد الإشارات التي يرسلها الدماغ إلى القلب. وتؤثر هذه الخلايا العصبية القلبية على المشاعر، واتخاذ القرار، والسكينة الذهنية.

يؤكد الخبراء الآن بثقة أن التحكم في جسم الإنسان ليس من اختصاص الدماغ فقط — بل يلعب القلب دورًا مساويًا في هذه العملية. ومن خلال هذه الرؤية الجديدة، يرفعنا القلب إلى مستوى يتجاوز الجانب الحيواني والمادي البحت.

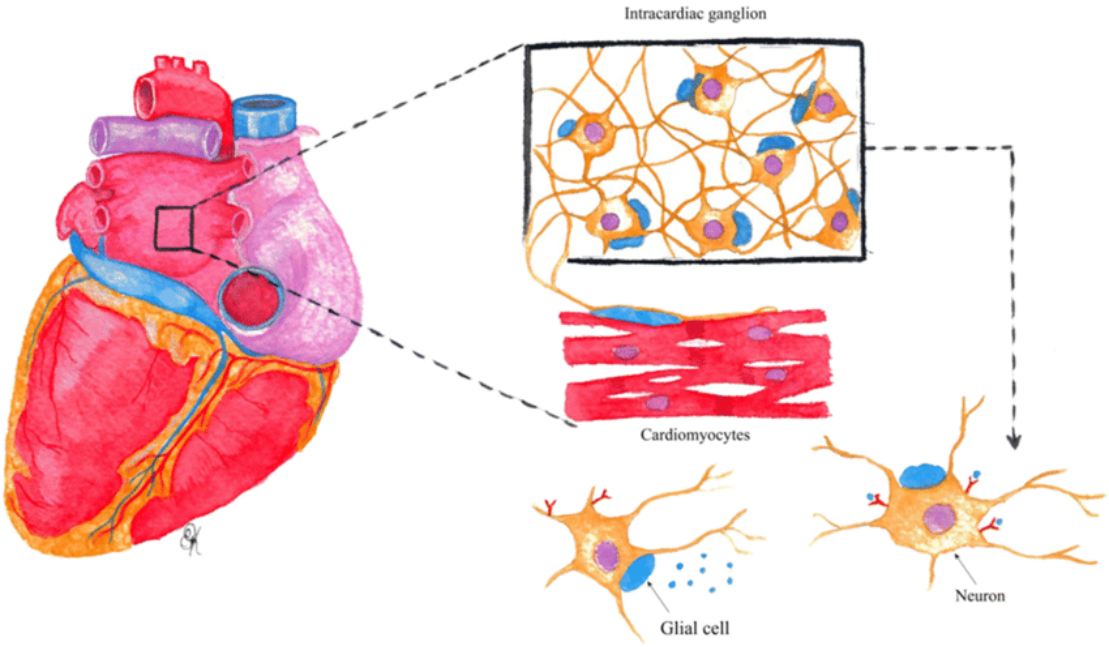

يمكننا بسهولة ملاحظة الصراع المستمر بين القلب والدماغ في اتخاذ قراراتنا اليومية. فالقلب مرتبط ارتباطًا عميقًا بالأخلاق والثقافة، وبدقة الفن والحكمة، بينما يعمل الدماغ بطريقة موضوعية ومنطقية بحتة. يعمل الدماغ على أساس عقلاني صارم، داعيًا إلى المساواة من خلال مبدأ "العين بالعين"، في حين يقترح القلب نهجًا بديلاً — يميل نحو التسامح بدلًا من الانتقام.

يقول الدماغ: إذا لم يساعدك أحد، فلا داعي لأن تساعده. ومن الناحية المنطقية، فإن الدماغ محق في هذا القول. ومع ذلك، يعرض القلب وجهة نظر مختلفة، ناصحًا بأنه حتى لو لم يُحسن إليك أحد، فكن أنت المُحسن إليه. الدماغ مرتبط بالمادية وحدها، في حين أن القلب يسمو بنا فوق المستوى الحيواني، ويوجهنا نحو التمسك بالقيم الأخلاقية، وتقوية الروابط الاجتماعية، والتصرف بطرق تجعل الحياة أسهل للآخرين — ما يكسبنا احترامهم وتقديرهم.

يهدف هذا الاكتشاف العلمي الحديث إلى الكشف عن أصول اتخاذ القرار لدى الإنسان. يصرح العلم الآن بأن القلب ليس مجرد عضو لضخ الدم، بل يلعب أيضا دورا في الذكاء العاطفي. وبينما كان القرآن الكريم قد أخبرنا قبل قرون أن "القلب هو وسيلة الفهم والإدراك"، بدأت العلوم الحديثة اليوم تعبر عن هذه الحقيقة بلغتها الخاصة.

لقد كشفت الأبحاث العلمية الآن عن وجود شبكة عصبية داخل قلب الإنسان، تتكون من حوالي ٤٠,٠٠٠ خلية عصبية (خلية عصبية). ويُطلق بعض الخبراء على هذه الشبكة اسم "دماغ القلب". وتُعرف هذه الشبكة العصبية باسم "الجهاز العصبي الذاتي للقلب" *Intrinsic Cardiac Nervous System* ، وهي في تواصل مستمر مع الدماغ. ولا يقتصر دور هذا النظام على تنظيم الوظائف الجسدية فقط، بل يؤثر أيضًا على المشاعر والذكريات وردود الأفعال.

وخلاصة القول، فإن القرآن الكريم قد كشف عن هذه الحقيقة قبل أكثر من ١٤٠٠ عام، مؤكدًا أن القلب ليس مجرد مضخة، بل هو مركز للفهم والإدراك والوعي. فعندما نقوم بأعمال الخير، أو نتحدث بالحق، أو ندعو دعاءً نابعًا من أعماق القلب — فإن القلب ينبض، ليس فقط على المستوى الجسدي، بل على المستوى الروحي أيضًا. فقلبك لا ينبض فقط — بل "يعلم ويدرك" أيضا. إن العلم اليوم يكتشف الأسرار التي أعلنها القرآن الكريم منذ قرون، مما يثبت أن هذه واحدة من المعجزات العلمية للقرآن الكريم. ويُعدّ هذا دليلًا قويًا على أن القرآن الكريم هو وحي إلهي، نزل من عند خالق الكون، لهداية البشرية.